# شذا الرياحين
# في بيان مراتب الدين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

# شذا الرياحين
# في بيان مراتب الدين

جمع وترتيب

أبو أحمد سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

غفر الله له ولوالديه ولزوجه وولده وللمسلمين والمسلمات

بسم الله الرحمن الرحيم

# شذا الرياحين في بيان مراتب الدين

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

**ثم أما بعد:**

فاعلم أخي، رحمني الله وإياك، أن الحاجة إلى التذكير اليوم أصبحت واجبة امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] ثم أعقبها بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى الصراع بين الحق والباطل وهو أمر قديم وسببه عظيم وهو الخلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] وذلك بعزوف كثير من الناس، ولاسيما من يوصفون بالمثقفين، عن أخذ العلم الشرعي عن مصادره الحقة، الكتاب والسنة، وأخذهم من العلماء المختصين تعصبا لمذهب أو طريقة أو موطنٍ أو سلوك ورثوه أو منهج نشؤوا عليه فاتبعوه وهذه علل وأمراض في طريق العمل الإسلامي ترجع إلى اختلال المسألة التربوية فيه من جهة القصور أو الممارسة أو هما معاً. لذا رأيت من باب التذكيرأن يكون موضوعنا بعنوان «شذا الرياحين

في بيان مراتب الدين» من خلال شرح مختصر لحديث جبريل عليه السلام، والآن مع نص الحديث: عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: «**يا محمد أخبرني عن الإسلام**»، فقال له: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»، قال: «**صدقت**»، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: «**أخبرني عن الإيمان**» قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: «**صدقت**»، قال: «**فأخبرني عن الإحسان**»، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: «**فأخبرني عن الساعة**»، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: «**فأخبرني عن أماراتها**»، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان**» ثم انطلق فلبث مليا، ثم قال: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**»، قلت: «الله ورسوله أعلم»، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

---

(١) رواه مسلم.

### ۞ أولاً: تخريج الحديث:

أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان برقم (٨) والترمذي في السنن كتاب الإيمان (٢٦١٠) والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) وأبو داوود في السنة (٤٦٩٥) وابن ماجة في المقدمة (٦٣) وأحمد في مسند العشرة الـمبشرين بالجنة (٢٧/ ١).

### ۞ ثانياً: راوي الحديث:

هو عمر بن الخطاب القرشي، صحابي جليل مشهور، ثاني الخلفاء الراشدين المهديين أول من لقب بأمير المؤمنين، وزير النبي ﷺ وصهره.. أدركه دعاء النبي ﷺ: «**اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك**..» وقد كان من صناديد قريش حتى قال بعض الصحابة: «لا يسلم ابن الخطاب حتى يسلم حمار الخطاب» فلما أكرمه الله بالإسلام اعتز المسلمون وقوي جانبهم كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لازلنا أعزة منذ أسلم عمر» هو المحدث الملهم كما ثبت بذلك النص عن النبي ﷺ ، وموافقاته لربه معروفة مشهورة، كانت تهابه الشياطين من الإنس والجن ومع ذلك ارتسم على وجهه خطان أسودان من شدة البكاء.. حكم فعدل وروي له خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا (٥٣٩). استمرت خلافته عشر سنين وستة أشهر ومات كصاحبيه وعمره ثلاثةٌ وستون سنة رضي الله عنه وأرضاه.

### ۞ ثالثاً: منزلة الحديث:

هذا الحديث حديث عظيم يعد «أم السنة» لأنه جمع السنة كلها وأجملها وجاءت بقية نصوص السنة لتفصيل ما أجمله هذا الحديث فكما أن الفاتحة هي أم القرآن فحديث جبريل هو أم السنة.

### ۞ رابعاً: معاني الكلمات:

١ - طلع علينا رجل: أي ظهر علينا والمقصود بهذا الرجل جبريل عليه السلام تمثل بهيئة رجل

٢ - لا يرى عليه أثر السفر: أي لا يرى عليه علامة السفر وهيئته

٣ - أماراتها: يعني علاماتها

٤ - الحفاة: جمع حاف وهو ما لا نعل له في رجليه

٥ - العراة: جمع عار وهو من لا ثياب على جسده

٦ - العالة: جمع عائل وهو الفقير

٧ - رعاء: جمع راع وهو الحافظ للشيء القائم على شؤونه

٨ - الشاء: جمع الشاة وهي واحدة الضأن وفي لفظ صحيح «رعاة الشاة».

٩ - الساعة: القيامة

١٠ - فلبثت مليا: أي مكثت مدة طويلة وفي رواية «ثلاثة أيام»

### ۞ خامساً: من فوائد الحديث:

١ – أن من هدي النبي ﷺ مجالسة أصحابه وهذا الهدي يدل على حسن خلق النبي ﷺ ومنها أنه ينبغي للإنسان أن يكون ذا عشرة مع الناس ومجالسة وأنه لا ينزوي عنهم.

٢ – أن الخلطة مع الناس أفضل من العزلة ما لم يخش الإنسان على دينه فإن خشي على دينه فالعزلة أفضل.

٣ – أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام يمكن أن يظهروا للناس بأشكال البشر لأن جبريل عليه السلام طلع على الصحابة على الوصف المذكور في الحديث، رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة.

٤ – أدب المتعلم يسبق التعلم حيث جلس جبريل عليه السلام أمام النبي ﷺ هذه الجلسة الدالة على الأدب والإصغاء والاستعداد لما يلقي إليه فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه.

٥ – أخذ الزينة وحسن الهيئة في مجالس العلم فكما جاء وصف جبريل في هذا الحديث: شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر.

٦ – الحرص على طلب العلم في فترة الشباب يستفاد هذا من وصف جبريل بأنه كان: شديد سواد الشعر دليل على الشباب.

٧- استنبط منه الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه فقد جاء في بعض روايات هذا الحديث: عن أبي ذر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى الرسول صلى الله عليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه. قال: فبنينا له دكانا من طين فجلس عليه وكنا نجلس بجنبتيه وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجل فذكر هيئته حتى سلم من طرف السماط فقال: السلام عليك يا محمد. قال: فرد عليه النبي ﷺ السلام.. الحديث[1].

٨ - وفيه أيضا أنه ينبغي للإمام ونوابه وكذا العالم أن يبرزوا بعض الأوقات للناس لقضاء حوائجهم والنظر في مصالحهم وفي بعض روايات هذا الحديث كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس. قال الحافظ إبن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أي ظاهراً لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس بغيرهم، والبروز الظهور.

٩ - في الحديث بيان تواضع النبي ﷺ لأصحابه وغيرهم وكيف لا يكون كذلك وهو الذي قال فيه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]؟

---

(١) صحيح سنن النسائي.

١٠ - ومنها جواز دعاء النبي ﷺ باسمه لقوله: «يا محمد» وهذا يحتمل أنه قبل النهي أي قبل نهي الله تعالى عن ذلك في قوله: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣] على أحد التفسيرين ويحتمل أن هذا جرى على عادة الأعراب الذين يأتون إلى الرسول صلى الله عليهم وسلم فينادونه باسمه يا محمد وهذا أقرب لأن الأول يحتاج إلى التاريخ كما يحتمل أن جبريل عليه السلام أراد من ذلك أن يلفت أنظار الصحابة حتى ينصتوا للعلم ولذلك أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ليشد انتباههم لما سوف يقال.

١١ - وفيه إشارة لما ينبغي للمسؤول من العفو والصفح عما يبدو من جفاء السائل: لصنيعه المتقدم من جلوسه وتخطيه الرقاب.

حتى جلس إلى النبي ﷺ ولكونه ناداه باسمه المجرد مع أن ربه لم يناده باسمه المجرد خلافاً لغيره من إخوانه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

١٢ - وفيه أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل ويدنيه منه ليتمكن من سؤاله غير هائب ولا منقبض قاله النووي رحمه الله.

١٣ - قد يفهم من السياق أن السائل وضع كفيه على ركبتي النبي ﷺ وقد أورد الحافظ في الفتح من حديث ابن عباس وحديث أبي عامر الأشعري رواية مصرحة بذلك، وفي هذا من الفوائد أنه على طالب العلم

أن يبالغ في الإصغاء إلى معلمه ولا ينصرف عنه بالشواغل فإن وضع السائل، وهو جبريل عليه السلام يديه على فخذ النبي ﷺ، صنيع منبه للإصغاء إليه والإهتمام الزائد بما يقول.

١٤ - وفيه إجابة السائل بأكثر مما سأل فإن النبي ﷺ لما أجاب السائل عن الساعة بجواب جامع «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» لم يكتف بذلك وإنما زاده أن يبين له بعض أماراتها فقال: «**وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله**» ثم تلا النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

**وقصة هذا الحديث توضح هذه المسألة:**

فعن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال بالقدر في البصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخل المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم

وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل... فذكر الحديث.

ولقد تضمن الجواب زيادة على السؤال للإهتمام بذلك ارشادا للأمة لما يترتب على معرفة ذلك من المصلحة.

فأنت ترى انهما سألاه عن علم الله وعن القدر؟ فكان يكفيه أن يبين لهما معنى الإيمان وأن القدر من الإيمان لكنه أخبرهما عن معنى الإيمان والإسلام والإحسان وغير ذلك وليس في هذا خروج عن النهج السوي لعلم ابن عمر مدى ترابط هذه الأصول الثلاثة والواجب معرفتها جميعا. ودليل فعل ابن عمر رضي الله عنهما في السنة: ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[1].

١٥ - الحث على السؤال عن العلم النافع في الدنيا والآخرة وترك السؤال عما لا فائدة فيه وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

(١) رواه الخمسة.

تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] وقد قيل حسن السؤال نصف العلم. فحسن السؤال من أسباب تحصيل العلم، قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم بلغت العلم؟ قال: «بلسان سؤول وقلب عقول» وقال الزهري: «العلم خزانات مفتاحها المسألة» وسئل الأصمعي: بم نلت ما نلت؟ قال: «بكثرة سؤالي وتلقفي الحكمة الشرود».

١٦ - وفيه: أهمية التعليم عن طريق السؤال والجواب وقد تكررت هذه الوسيلة في تعليم النبي ﷺ لأصحابه في كثير من الأحاديث النبوية لما فيها من لفت إنتباه السامعين وإعداد أذهانهم لتلقي الجواب الصحيح ومن الأمثلة في السنة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتى يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[1].

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر

(١) رواه مسلم.

شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة. قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا»[1].

١٧ - وفيه: استحباب الأبيض من اللباس: فسياق هذا الحديث يقتضي مدح من كان على هذه الصفة، شديد بياض الثياب، ولهذا كان النبي ﷺ يحب الثياب البيض وكان يلبسها وأمر بتكفين الموتى فيها.

١٨ - وفيه: اليقظة في مجالس العلم تفيد في حفظه ونشره ولذلك حفظ عمر رضي الله عنه الأسئلة بأجوبتها.

١٩ - وجوب رد العلم إلى الله تعالى إذا سئلت عما لا تدري كما فعل عمر رضي الله عنه.

٢٠ - وفيه: سؤال القادم أو السائل عن اسمه ليس على سبيل الوجوب ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في خبر وفد عبد القيس قال: من القوم؟ أو من الوفد؟، الشك من الراوي، وفي هذا الحديث لم يسأل السائل عن اسمه أو ما يعرف به فيجعل فعله الأول على الاستحباب.

---

(١) رواه البخاري.

٢١ - وفيه: أنه ينبغي للسائل أو المستمع حين استماعه لجواب أو حديث أن ينطق بما يشعر من يحدثه انتباهه وحضور قلبه وهذا يظهر في قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «صدقت» أكثر من مرة.

٢٢ - وفيه: أنه إذا كان السؤال عاما فالأفضل أن تقتصر الإجابة على أهم المهمات فالسؤال عن الإسلام وخصاله سؤال عام يدخل تحته جميع أعمال الجوارح لكنه اقتصر على أهم المهمات وهي الأركان.

٢٣ - وفيه: أن السائل عن علم يعلمه ليعلم الغير يأخذ حكم المباشر أي يأخذ حكم المعلم ويستفاد ذلك من قول النبي ﷺ: «**إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

٢٤ - وفيه: أن الحديث من جوامع كلم النبي ﷺ فإنه على وجازته اشتمل على فوائد كثيرة وعوائد وفيرة حتى اعتبر أصلا لعلوم الشريعة فقد جمع مراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان وهذا ما سوف نفصله بعون الله وتوفيقه في الأسطر الآتية.

# مراتب الدين الثلاثة

## المرتبة الأولى: الإسلام:

**تعريف الإسلام:**

- في اللغة: هو الانقياد والخضوع والذل. يقال: أسلم واستسلم أي انقاد[١].

- الإسلام شرعا: له معنيان:

* الأول: الانقياد والاستسلام لأمر الله الكوني القدري طوعا وكرها وهذا لا ثواب فيه قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] أي خضع وانقاد.

* الثاني: إخلاص العبادة لله ﷻ وحدة لا شريك له وهذا الإسلام الذي يحمد عليه العبد ويثاب[٢].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٥٢) ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٠) ولسان العرب (١٢/ ٢٣٩) والقاموس المحيط (١٩٩٨).

(٢) الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٥) وشرح الأصول الثلاثة للعلامات ابن عثيمين (ص: ٦٤).

وقد عرفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «هو الإستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله»[١].

**والإسلام بالمعنى الثاني ينقسم إلى عام وخاص:**

* العام: هو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعا وهو عبادة الله وحدة لا شريك له.

*الخاص: هو ما جاء به نبينا محمد ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: لفظ الإسلام يجمع معنيين: أحدهما: الانقياد والاستسلام والثاني: إخلاص ذلك وإفراده وعنوانه قول: «لا إله إلا الله» وله معنيان: أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعثت به جميع الأنبياء كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة، والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج.. وله مرتبتان:

* إحداهما: الظاهر من القول والعمل وهي المباني الخمسة.

* والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقا للباطن[٢].

---

(١) ثلاثة الأصول (ص: ٦٤) مع شرحه للعلامة ابن عثيمين. وأعلام السنة المنشورة (ص: ٣٣).

(٢) الإيمان الأوسط في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٥) ومجموع الفتاوى (١/ ١٤) و(١٩/ ١١٧).

فالحاصل أن الإسلام في شريعتنا لإطلاقه حالتان:

* **الحالة الأولى**: أنه يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذ يراد به الدين كله، أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ونحو ذلك من الآيات. وفي قول النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**»(١).

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**»، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**». قلت: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**». قلت: فأي الإيمان أفضل؟ قال: «**الهجرة**». قلت: وما الهجرة؟ قال: «**أن تهجر السوء**». قال: فأي الهجرة

---

(١) رواه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أفضل؟ قال: «**الجهاد**»[(١)]. ففي هذا الحديث فسر النبي ﷺ الإسلام بما فسر به الإيمان وجعل الإيمان من الإسلام وهو أفضله.

* **الحالة الثانية**: أن يكون مقترنا بالإيمان فيراد به حينئذ الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم» [الحجرات: ١٤]. وكقوله ﷺ لما قال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا فقال ﷺ: «أو مسلما» ثلاث مرات[(٢)]. وكحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السابق حيث جعل الإسلام الأقوال والأعمال الظاهرة، والإيمان أقوال وأعمال القلوب الباطنة[(٣)].

وإنما سمى الله سبحانه وتعالى الأعمال الظاهرة إسلاما لما فيها من الاستسلام والخضوع والانقياد لله ولأمره ونهيه والالتزام بطاعته والوقوف عند حدوده[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١١٤) الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤/ ١): رجاله ثقات، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٩٢): رجال اسناده ثقات رجال الشيخين فهو صحيح إن كان أبو قلابة سمعه من عمرو فإنه مدلس.

(٢) رواه البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠).

(٣) راجع معارج القبول للحكمى (١٨/ ٢).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى (١٧/ ٣) و(٢١/ ٥).

## أركان الإسلام

جاء في حديث جبريل عليه السلام أن النبي ﷺ فسر الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل وأول ذلك: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وهو عمل اللسان ثم «إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» وهي منقسمة إلى عمل بدني: كالصلاة والصوم وإلى عمل مالي: وهو إيتاء الزكاة وإلى ما هو مركب منها: كالحج[1].

**فائدة:** وهنا حكمة في ترتيب أركان الإسلام: فالركن الأول وهو الشهادتان يوضح الغاية والطريق إليها: فالغاية تحقيق العبودية لله ﷻ في قولك «أشهد أن لا إله إلا الله» أي المعبود بحق هو الله وحده لا شريك له، والطريق إليها بمتابعة النبي الأمين ﷺ في قولك «وأشهد أن محمدا رسول الله» فبعد أن عرفت الغاية والطريق إليها يأتي الركن الثاني مبينا حق الله على عباده بأداء الصلاة وإقامتها في أوقاتها بأركانها وواجباتها وسننها بخشوع وخضوع وفي جماعة للرجال ثم يأتي حق العباد بعد أدائك لحق الله ﷻ وذلك بإيتاء الزكاة الذي فيه حق للعباد وكفالتهم ثم يأتي بعد ذلك حق النفس بتزكيتها وتحقيق التقوى لها بأداء فريضة الصيام

---

(١) جامع العلوم والحكم (٩٨/ ١).

ثم يأتي بعد ذلك الركن الذي يجمع حق الله وحق العباد وحق النفس وهو الحج ففيه القيام بحق الله تعالى بأداء الفريضة والامتثال للأمر وفيه حق للعباد بذبح الهدي وفيه حق للنفس بتزكيتها والبعد عن الرفث والفسوق والجدال في الحج فيالها من حكمة لو تدبرناها !!

وفي حديث جبريل ذكر النبي ﷺ أصول أعمال الإسلام التي ينبني عليها كما دل على ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**»[1].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس كالأركان والدعائم لبنيانه» والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان، ودعائم البنيان هذه الخمس فلا يثبت البنيان بدونها وبقيت خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك، بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعها بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله وقد جاء في رواية

---

(١) البخاري (٨) ومسلم (١٦) وانظر معارج القبول (٢/ ٢٩-٣٢).

البخاري تعليقا: «بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله» وذكر بقية الحديث[١]. وفي رواية لمسلم: «**على خمس: على أن يوحد الله**» **وفي رواية له: «على أن يعبد الله ويكفر بما دونه»**[٢].

وبهذا يعلم أن الإيمان بالله ورسوله داخل ضمن الإسلام، وأما إقام الصلاة فقد وردت أحاديث متعددة على أن من تركها فقد خرج من الإسلام ففي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٣]. وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وذهبت طائفة منهم إلى أن من ترك شيئا من أركان الإسلام الخمسة عمدا أنه كافر بذلك[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله ﷺ: «الإسلام هو الخمس»[٥]، يريد أن هذا كله واجب داخل في الإسلام، فليس للإنسان

---

(١) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم قبل حديث (٣٥٣٣) قال ابن حجر في تعليق التعليق (٥/ ٣٧٠) وأما حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة بلال فأسنده المؤلف في كتاب صلاة الليل من طريق أبي زرعة عنه.

(٢) رواه مسلم (١٦) من حديث ابن عمر.

(٣) رواه مسلم (٨٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٥-١٤٧).

(٥) لا أصل له.

أن يكتفي بالإقرار بالشهادتين، وكذلك الإيمان يجب أن يكون على هذا الوجه المفصل لا يكتفي فيه بالإيمان المجمل ولهذا وصف الإسلام بهذا. وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر وأما الأعمال الأربعة فاختلفوا في تكفير تاركها، ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب. وأما هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور..

وعن أحمد في ذلك نزاع وإحدى الروايات عنه أنه يكفر من ترك واحدة منها وعنه رواية ثانية: لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة فقط، ورواية ثالثة: لا يكفر إلا بترك الصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها، ورابعة: لا يكفر إلا بترك الصلاة، وخامسة: لا يكفر بترك شيء منهم. وهذه أقوال معروفة للسلف ومما يوضح ذلك أن جبريل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان كان في آخر الأمر بعد فرض الحج، والحج فرض سنة تسع أو عشر[1].

سبب اختصاص هذه الأركان الخمسة بكونها أركان الإسلام: أن هذه الأركان الخمسة هي أظهر شعائر الإسلام وبقيام العبد بها يتم إسلامه ولهذا كانت واجبة على الأعيان دون سواها، قال الإمام ابن الصلاح رحمه الله:

---

(١) الإيمان (٢٨٦) وشرح العمدة (ص: ٨٦ - ٨٧).

«وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وإنما أضاف إليها الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الإيمان»: «قد أجاب بعض الناس أن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيام العبد بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده. والتحقيق أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقا، الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان فيجب على كل من كان قادرا عليه أن يعبد الله بها مخلصا له الدين وهذه هي الخمس وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب المصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس بل إما:

١ - أن يكون فرضا على الكفاية كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك من إمارة وحكم وفتيا وإقرار وتحديث وغير ذلك.

٢ - وإما أن يجب بسبب حق للآدميين يختص من وجب له وعليه وقد يسقط بإسقاطه وإذا حصلت المصلحة أو الإبراء إما بإبرائه أو بحصول المصلحة فحقوق العباد مثل قضاء الديون ورد المغصوب والعوارى والودائع والإنصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض إنما هي

---

(١) صيانة صحيح مسلم (ص: ١٣٤).

حقوق الآدميين وإذا أبرئوا منها سقطت، وتجب على شخص دون شخص، في حال دون حال لم تجب عبادة محضة لله على كل عبد قادر ولهذا يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخمسة فإنها من خصائص المسلمين.

وكذلك ما يجب من صلة الأرحام وحصص الزوجة والأولاد والجيران والشركاء والفقراء، وما يجب من آداء الشهادة والفتيا والإمارة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وكل ذلك بأسباب عارضة على بعض الناس دون بعض لجلب منافع ودفع مضار، لو حصلت بدون فعل الإنسان لم تجب، فما كان مشتركا فهو واجب على الكفاية، وما كان مختصا فيجب على زيد دون عمرو لا يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل أحد قادر سوى الخمس. فإن زوجة زيد وأقاربه ليست زوجة عمرو وأقاربه، فليس الواجب على هذا مثل الواجب على هذا بخلاف صوم رمضان وحج البيت والصلوات الخمس والزكاة فإن الزكاة وإن كانت حقا ماليا فإنها واجبات لله، ولهذا وجب فيها النية ولم يجوز أن يفعلها الغير عنه بلا إذنه ولم تطلب من الكفار، وحصص العباد لا يشترط لها النية ولو أداها غيره عنه بغير اذنه برئت ذمته ويطالب به الكفار»[1].

---

(١) الإيمان (٢٩٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٦٣) ذكره مختصرا. وراجع الموسوعة العقدية الكتاب الثامن: حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة الباب الرابع: درجات الإيمان ومراتبه الفصل الثالث: مراتب الدين الثلاثة.

## المرتبة الثانية: الإيمان:

**الإيمان**: هو المرتبة الثانية من مراتب الدين في حديث جبريل عليه السلام المذكور ومعناه التصديق الجازم الذي لا ريب فيه فهو بمعنى المعرفة والإقرار ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات ١٠٤-١٠٥] صدقت هنا جاءت بعد أن قام إبراهيم عليه السلام بشحذ السكين ومررها على عنق إسماعيل تنفيذا لأمر الله عز وجل فهذا هو الإيمان ومنه قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق.

**والإيمان شرعا له حالتان:**

- **الحالة الأولى**: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦].

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقوله تعال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة**»[(١)]، ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧] وفسرهم بمن اتصف بذلك كله في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٥]

---

(١) البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة بلفظة «مسلمة» بدلا من «مؤمنة» ورواه بلفظ الترمذي (٣٠٩٢) والنسائي (٥/ ٢٣٤) وأحمد (١/ ٧٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١]، وقال تعالى: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ١ - ٣] وغيرها من الآيات..

وقد فسر الله تعالى الإيمان بذلك كله في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

### ۞ فائدة:

ولعل الحكمة في ترتيب أركان الإيمان الستة: أن الركن الأول الإيمان بالله فهو الخالق المستحق للعبادة، هذا الخالق العظيم من عدله أرسل الملائكة، ارسلهم بالكتب على الأنبياء والرسل لتذكير الناس باليوم الآخر وما فيه من أهوال حتى يتحقق الإيمان بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى، والله أعلم.

وفسره النبي ﷺ بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال: «**آمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا**

**الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس»**[١].

وقد جعل ﷺ صيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان وكذا قيام ليلة القدر وكذا أداء الأمانة وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز وغير ذلك. وفي الصحيحين قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٢]. وفي رواية: «**والحياء شعبة من الإيمان**»[٣]. وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة منها ما هو من قول القلب وعمله ومنها ما هو من قول اللسان ومنها ما هو من عمل الجوارح وقد أشار النبي ﷺ في الحديث السابق إلى القول والعمل، فقول القلب واللسان في قوله ﷺ: «**أعلاها لا إله إلا الله**» وعمل الجوارح في قوله ﷺ: «**إماطة الأذى عن الطريق**» وعمل القلب في قوله ﷺ: «**والحياء شعبة من الإيمان**».

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله ﷻ إيمانا في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم كما

---

(١) البخاري (٥٣) وهذا لفظه، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) البخاري (٩) ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم.

يعلم من سبب النزول لهذه الآية.. وهذا المعنى هو الذي قصده السلف رحمهم الله تعالى بقولهم: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وإن الأعمال كلها داخلة في معنى الإيمان وحكى الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أدركهم.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان». وكتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الأمصار: «أما بعد، فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان»[1].

وهذا المعنى الذي أراد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ إثباته في كتاب الإيمان وعليه بوب أبوابه كلها فقال: «باب أمور الإيمان» و«باب الصلاة من الإيمان» و«باب الزكاة من الإيمان» و«الجهاد من الإيمان» و«باب حب رسول الله ﷺ من الإيمان» و«باب ألحياء من الإيمان» و«وباب صوم رمضان احتسابا من الإيمان» و«باب أتباع الجنائز من الإيمان» و«باب أداء الصلوات الخمس من الإيمان» وسائر أبوابه.

---

(١) رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٢) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٧٨) وقال ابن حجر في «تعليق التعليق» (٢٠/ ٢) وهو إسناد صحيح ورجاله ثقات.

- **الحالة الثانية**: أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه وكما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [النساء: ٥٧] في غير موضع من كتابه وكما قال النبي ﷺ في دعاء الجنازة: «**اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته فتوفه على الإيمان**»[(١)]. وذلك أن أعمال الجوارح إنما يتمكن منها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله[(٢)]...

هذا وقد خالف طوائفٌ أهلَ السنة في مفهوم الإيمان منهم:

١ - الجهمية: قال جهم بن صفوان وأتباعه: الإيمان هو المعرفة بالله فقط وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية إذ لا يجهل الخالق سبحانه أحد.

ولله در العلامة ابن القيم حيث قال في نونيته الكافية الشافية:

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠١) والترمذي (١٠٢٤) وابن ماجة (١٤٩٨) وأحمد (٣٦٨/ ٢) والحاكم (١/ ٥١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شرط صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي في «التلخيص» وقال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٢٤): وهو كما قالا وقال في «صحيح سنن أبي داوود» صحيح.

(٢) راجع الموسوعة العقدية، الكتاب الثامن، حقيقة الإيمان عند أهل السنة.

قالـــوا وإقـــرار العبـــاد بأنـــه ** خـــالقهم هـــو منتهـــى الإيـــمان
والنـــاس في الإيـــمان شيء واحـــد ** كالمـــشط عنـــد تماثـــل الأســـنان
فاســأل أبـا جهـل وشـيعته ومـن ** والاهمـــو مـــن عابـــدي الأوثـــان
وسل اليهود وكل أقلـف مـشرك ** عبـــد المـــسيح مقبـــل الـــصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قـبلهم ** أعـــداء نـــوح أمـــة الطوفـــان
واسأل أبـا الجـن اللعـين أتعـرف ** الخـــلاق أم أصـــبحت ذا نكـــران
واســأل شرار الخلـق أقـبح أمـة ** لوطيـــة هـــم نـــاكحوا الـــذكران
واســأل كـذاك إمـام كـل معطـل ** فرعـــون مـــع قـــارون مـــع هامـــان
هـل كـان فـيهم منكـر للخـالق ** الـــرب العظـــيم مكـــون الأكـــوان
فليبـشروا مـا فيهمـوا مـن كـافر ** هـــم عنـــد جهـــم كـــاملوا الإيـــمان

٢ - قالت المرجئة والكرامية: الإيمان هو الإقرار بالله دون عقد القلب فيكون المنافقون على هذا مؤمنين وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤ - ٨٥] وغير ذلك من الآيات وهم قد نطقوا بالشهادتين فقط وكذبهم الله ﷻ في دعواهم في غير موضع من القرآن.

٣ - وقال آخرون: التصديق بالجنان والإقرار باللسان وهذا قول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل عليه السلام وهو ظاهر البطلان.

٤ - وذهب الخوارج ومن وافقهم إلى أنه الطاعات بأسرها فرضا كانت أو نفلا وهذا القول مصادم لتعليم النبي ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان وكلما يقول له السائل في فريضته: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع[1].

٥ - وذهب الجبائي وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل وهذا أيضا يدخل المنافقين

في الإيمان وقد نفاه الله تعالى عنهم، وقال الباقون منهم العمل والنطق والاعتقاد والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطا في الصحة بل جعلوا كثيرا منها شرطا في الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيها من استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان والمعتزلة جعلوها كلها شرطا في الصحة والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (٤٦) ومسلم (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

**المرتبة الثالثة: الإحسان:**

الإحسان لغة: مصدر أحسن يحسن إحسانا وهو ضد الإساءة وهو إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه ويطلق على معنيين:

- الأول: متعد بنفسه كقولك: أحسنت كذا وفي كذا إذا أحسنته وكملته.

- الثاني: متعد بحرف الجر كقولك: أحسنت إلى كذا أي: أوصلت إليه ما ينتفع به[1].

والإحسان شرعا يطلق على:

- الفرع الأول: إحسان إلى عباد الله ﷻ وهو على قسمين:

* **القسم الأول**: واجب وهو أن تقوم بحقوقهم الواجبة على أكمل وجه مثل: بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف في جميع المعاملات. ويدخل في هذا القسم: الإحسان للبهائم والإحسان في القتل لما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم**

---

(١) «الصحاح (٥/ ٢٠٩٩)» و«معجم مقاييس اللغة (٢/ ٥٧)» و«لسان العرب (١٣/ ١١٧)» و«القاموس المحيط (١٥٣٥)» و«المفهم (١٤٢/ ١)» و«فتح الباري (١/ ١٢٠)».

**فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»**[1].

قال الحافظ بن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الحديث يدل على وجوب:

- الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا المقدار من الإحسان فيها واجب، وأما الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب.

- والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها وترك ظاهرها وباطنها كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠] فهذا القدر من الإحسان فيها واجب.

- وأما الإحسان في الصبر على المقدورات فأن يأتي بالصبر عليها على وجهه من غير تسخط ولا جزع.

- والإحسان في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله، والإحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

- والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها من غير زيادة في تعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه. وهذا النوع هو الذي ذكر النبي ﷺ في الحديث ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال».

**القسم الثاني**: الإحسان المستحب، وهو ما زاد على الواجب من بذل نفع بدني أو مالي أو عملي فيساعد من احتاج إلى مساعدته ببدنه أو بماله أو بعلمه، فهذا كله داخل في باب الإحسان **وأجل أنواع الإحسان**: الإحسان إلى من أساء إليك كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥]

**الفرع الثاني**: الإحسان في عبادة الله ﷻ وهو المراد هنا، قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث جبريل: «قوله (الإحسان): هو مصدر، تقول أحسن يحسن إحسانا. ويتعدى بنفسه وبغيره تقول: أحسنت كذا إذا أتقنته وأحسنت إلى فلان إذا اوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود هو إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلا محسن بإخلاصه إلى نفسه وإحسان العبادة: الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود»[1].

---

(١) فتح الباري (١٢٠/ ١).

وقد عرفه النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

والإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها وأهله هم المستكملون لها السابقون للخيرات المقربون من علو الدرجات.

وإذا كان الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان، والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة، فإن الاحسان هو تحسين الظاهر والباطن وأما عند الإطلاق فإنه يشمل الدين كله.

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) منزلة الإحسان، وهي لب الإيمان وروحه وكماله وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منظومة فيها.. وأما الحديث: فإشارة إلى كمال الحضور مع الله عَزَّوَجَلَّ ومراقبته الجامعة: لخشيته ومحبته ومعرفته والإنابة إليه والإخلاص له ولجميع مقامات الإيمان»(٢).

وقال الإمام الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأول درجاته الإحسان في القصد بتهذيبه علما وإبرامه عزما».

---

(١) البخاري (٥٠) ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) مدارج السالكين، منزلة الإحسان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]: أي: ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلى الإحسان إليه في الدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

والأعمال تتفاضل باقترانها بالإحسان: لذلك جاء الإحسان في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، تارة مقرونًا بالإسلام وتارة مقروناً بالإيمان وتارة مقرونا بالتقوى أو بهم جميعا، وتارة بالجهاد وتارة بالعمل الصالح مطلقا وتارة بالإنفاق في سبيل الله وهو الجهاد[1]. قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣] هذه الآيات نزلت فيمن مات من المسلمين قبل تحريم الخمر ففي الصحيحين:

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٢٥/ ١) ومعارج القبول (٢٧٣/ ٢).

أنه لما نزل تحريم الخمر قال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم قال فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ الآية[1].

وعند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ الآية.

**تنبيه:**

غلط البعض في تأويل هذه الآية كما روى ابن عبد البر وغيره بسنده في «الاستذكار» فقال: شرب قوم من أهل الشام الخمرة في عهد يزيد بن أبي سفيان، وهو أخ معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا صحابي جليل يقال له «يزيد الخير»، وقالوا: هي لنا حلال وتأولوا هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ قال: فكتب فيهم إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فكتب أن ابعث بهم إلي قبل أن يفسدوا من قبلك فلما قدموا عمر استشار فيهم الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين إنهم كذبوا على الله عَزَّ وَجَلَّ وشرعوا في دينه ما لم يأذن به الله عَزَّ وَجَلَّ فاضرب رقابهم، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ساكت فقال: ما تقول يا أبا الحسن فيهم؟ قال: «أرى أن تستتيبهم فإن تابوا جلدتهم ثمانين لشربهم الخمر وإن لم يتوبوا ضربت أعناقهم فإنهم كذبوا على الله عَزَّ وَجَلَّ وشرعوا في دينه ما لم يأذن به الله عَزَّ وَجَلَّ فاستتابهم فتابوا فضربهم ثمانين».

---

(١) متفق عليه.

والملاحظ في هذه الآية الكريمة أن: التقوى تكررت ثلاث مرات:

- الأولى: مع الإيمان والعمل الصالح وهو ركن الإسلام.

- الثانية: مع الإيمان فقط وهو ركن الإيمان.

- الثالثة: الإحسان وهو ركن الإحسان.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره لهذه الآيات: «وقد يذكر مفردا كقوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦]».

وقد ثبت في صحيح مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله ﷻ في الجنة[1]. وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان لأن الإحسان أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانا في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبر به عن جزاء الكفار في الآخرة ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا وهو

---

(١) الحديث رواه مسلم (١٨١) من حديث صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة[١].

وقال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما تكرر الإحسان في القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم، سأل عنه جبريل النبي ﷺ فأجابه ببيانه ليعمل الناس عليه فيحصل لهم هذا الحظ العظيم»[٢].

(١) جامع العلوم والحكم (١٢٥/ ١).
(٢) المفهم (١٤٤/ ١).

## أركان الإحسان

للإحسان ركن واحد بينه النبي ﷺ بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» فأخبر النبي ﷺ أن مرتبة الإحسان على درجتين وأن المحسنين في الإحسان على درجتين متفاوتتين:

- **الدرجة الأولى**: وهي أعلاهما وهي: «أن تعبد الله كأنك تراه» يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ولذا جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند الإمام مسلم رحمه الله بلفظ «**أن تخشى الله كأنك تراه**»[1].

ويوجب أيضا: النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها وهذه العبادة، أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه، عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثًا عليها لأن هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى.

- **الدرجة الثانية**: أن تعبد الله كأنه يراك والمعنى: إذا لم تستطع أن تعبد الله كأنك تراه وتشاهده رأي العين فانزل إلى المرتبة الثانية وهي أن تعبد الله كأنه يراك.

---

(١) أخرجه مسلم: (١٠).

فالأولى: عبادة رغبة وطمع والثانية: عبادة خوف ورهب.

وكلاهما مرتبتان عظيمتان لكن الأولى أكمل وأفضل، فعبادة الله على وجه المراقبة والطلب أكمل من عبادته على وجه الخوف والرهب[1].

فالإحسان أعلى مراتب الدين وأهله هم الصفوة الخلص من عباد الله المؤمنين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (١١٧).

# فهرس الموضوعات


| العنوان | الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة ..... | ٥ |
| مراتب الدين الثلاثة ..... | ١٧ |
| المرتبة الأولى الإسلام ..... | ١٧ |
| أركان الإسلام ..... | ٢١ |
| المرتبة الثانية الإيمان ..... | ٢٧ |
| المرتبة الثالثة الإحسان ..... | ٣٦ |
| أركان الإحسان ..... | ٤٤ |
| فهرس الموضوعات ..... | ٤٦ |